الرتب والاوسمة

كانت الرتب والاوسمة العامل الاقوى في السادة الاخلاق على عهد الحكومة الاستبدادية الماضية فاستعملها الطامع ذريعة لرفع من شاء ولو كان وضيعاً وتصغير من اراد ولو كان كبيراً وفي نقلد الاوسمة وعلل علائم الرتب كم خربت بيوت وشتت شمل أسرات وكانت اقل الوسائط اليها واقربها تناولا ان يعمد من يرغب في التشرف بها الى التجسس على الاحرار وايجاد السبل لارهاق من يطالب الحكومة السالفة باصلاح الخلل ومداواة العلل .

ومن نظر في التاريخ يجد الالقاب عند العرب والافرنج من بقايا القرون الوسطى قرون الهمجية والانحلال . فنشأوها عند العرب كما قال ان الحاج في المدخل الترك فلما تداولوا على الخلافة تسموا هذا بشمس الدولة وهذا بناصر الدولة وهذا بنجم الدولة الى غير ذلك فتشوقت نفوس بعض العوام بمن ليس له علم بتلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلا اليها لعدم وصولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا اول ما احدثت عندهم هذه الالقاب اذ ولد لاحدهم مولود لا يقدر ان يكنيه بفلان الدين الا بامر يخرج من السلطنة فكانوا يعظمون على ذلك الاموال حتى يسمى ولد احدهم بفلان الدين فلما ان طال المدى وصار الامر الى الترك لم يبق لهم بالتسمية بالدولة معنى اذ انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين ثم نشأ الامر وزاد حتى رجعوا يسمون اولادهم بغيرها يعطونه على ذلك ثم انتقل اليه بعض من لا علم عنده ثم صار الامر متعارفاً متعاهداً حتى أنس به العلماء فتواطأوا عليه . قال ابو بكر الخوارزمي

مالي رأيت بني العباس قد فتحوا ... من الكنى ومن الالقاب ابوابا
وقلبوا رجلا لو عاش اوهم ... ما كان يرضى به لحش بوابا
قل للمرام في كني خليفتنا ... هذا يليق بي الاقوام القابا

اما في الغرب فكانت الرتب العلمية والجندية في القرون الوسطى تباع بيع العروض والعقار يتحيل الملك لمن يريد من حاشيته او لمن يرى هو ورجاله انه قام بخدمة لبلاده

ورثها عنه ابناؤه واحفاده من بعده كما نحو ما اصبح اولاد العالم في العهد الاخير في هذه الديار يرثون وظائفه ومقامه كما يرثون ارضه ومتاعه وتطلق عليهم الالقاب هي العجب العجاب واسماء ما انزل الله بها من سلطان كأن يقال لاجهل الجاهلين اعلم العلماء المحققين ولخالع الخارق ناصر السنة والدين.

الرتب على النحو الذي يعهد في الشرق والغرب اليوم لم يكن لها ما يماثلها في الدولة اليونانية ولا الرومانية وغاية ما في الامر ان الفائز في الالعاب الاولمبية في آثينة كان يذكر بالحمدة ذكراً يورثه الشرف هو واهل بلاده وينال جائزة سنية وكذلك من كتب له النصر على اعداء رومية ولكن لا يرث ابناؤه واهله ما كان هو اباهذرته وداعية فخرته

ولما انتظمت حكومات الغرب الغيت الرتب من معظم الممالك الاوربية ولا يزال لها اثر في بعضها ولكنه ضئيل لا ينمّ عن شرف ولا ينبيء عن فضيلة ورجع الناس هناك او كادوا الى عادة السذاجة التي كانت عليها دولة العرب ثلاثة قرون واكثر فكان يدعى الكبير باسمه او كنيته ولم يكن للالقاب سوق معروفة

كان يراد بالرتب والاوسمة وعلائم التشريف في الاصل تحريك نفوس الناس الى مباراة بعضهم بعضاً في طلب الكمال والمجد الحقيقي لان من واجبات الحكومة ان تنشط العامل وتأخذ يد صاحب الكفاءة ليكون مثالاً صالحاً لغيره والرتب والاوسمة من الامور التي قد تساعد على هذا الشأن ولكن المتأخرين من اهل الغرب شاهدوا كما شاهد المتأخرون في الشرق ايضاً وداءة تلك الطريقة فاسقطوا بعض تلك الرتب والاوسمة وبقي غيرها عفواً اثرياً من حكومات القرون الوسطى يدل باصرح بيان على ان من الصعب جداً على حكومة لها بعض التقاليد وان كانت غير معقولة ان تنسفها جملة واحدة اللهم الا اذا كانت كحكومة الولايات المتحدة لم تبن اصول حكومتها على انقاض غيرها بل جعلت فيها الحر قائداً والعقل مرشداً ورائداً ولذلك تساوى بها العامل الصعلوك مع رئيس الجمهورية في الالقاب والتشريف

قال احد علماء الفرنسيس: ومن الواجب الاقتصاد في منح الاوسمة والالقاب وان يتوخى المنع بها ان لا يهبها الا من يستحقها ممن لا يكبر عليهم استنهالهم لها ابعد الناس عن معرفة الحقيقة ومن الخطإ الفادح ان يذهب بعضهم الى ان عدد الراضين يزيد بمضاعفة علائم الشرف اذ الامر بخلاف ذلك وكلما خففت المطالب والقيود درجة زادت الدعوى الطويلة العريضة وملأت اصحابها في هذا المطلب الا كأنه يتقاضى

حقاً او اجراً مشروعاً وكان اعطاء الاوسمة وقفت الحكومات في شر الحالة فتضع في ذلك بين امرين اما ان تعطيها للناس لاخلاق لهم او لمن لهم خلق ولكنهم مرذولون بالاخلاق السافلة وكلا الحالتين قبيح والبح . وما حال الشاب اذ ذاك الا حال الاطفال في المدرسة يطمحون الى الكلمات المدرسية ويحرصون عليها اكثر من حرصهم الى التقدم الحقيقي

هذا ان الفار في الاعصر الاولية بآنية كانت تعظم قدر الجواز وكذلك الفار في البراد اجر يجازى احسن الجزاء في روية ويشد اوسمة الشبه باوسمة هذه الايام علاوة على الكلمات الثلثة وسيأتي تحليب الجنود واكاليل من ورق الزيتون واكاليل من الصنان اليغوط واسورة وقلائد من الذهب والفضة تحاط في العصور او في قرون صغيرة تجعل في اطراف الجنود

***

ولم تكف توقع عن الاعواء والاقلام في البلاد العثمانية كالم الاستعداد والحجر هذه السنة حتى قام عظماء العثمانيين يكتبون في اسقاط الرتب والاوسمة لان في استبقائها برأيهم ارتكاب الكفاءات ونوعها تلك الاساليب وفي مقدمة الكاتبين المفرجون من المدرسة الملكية العالية في الاستانة وهل من ارقى مدارس الدولة فاذا من تخرجوا فيها من الامراء والوزراء وكبار العمال وتخرجوا عن رئيسها مختارين بالكليات الرتب من قبل الامبراطور الشخصية الحقة بقليدة اما دولة وان البلاد الدستورية لا يجوز ان يكون فيها فريق من الناس محكوماً فريق آخر من اجل هذه الامتيازات الوهمية الثانية

وبعد فانه لا اثر لهذه الرتب الشخصية في البلاد المتحدة ولا وجود لها الا في بلادنا وفي بلاد ايران التي انما بعد هذه انما انه قد حلت محلاً نهائياً لان مجلس الامة معين في العالم بالله وما ان آخر التي ادعيه الى الرتبة اجر ان تحت في نبذة من تاريخها لبقي صورة في قلوب حاملها المؤمنين يرجع الفضل في المصدور وفوق الجبين

كان الرومانيون والبوليون يوجدون الناس لهم رتبة العسكرية ولكن لا يوجدون لهم رتباً شخصية . اما العرب فكانت الرتبة عندهم في القبيلة او الرياسة الشخصية وكانوا يوجدون الرتب العسكرية عند الحاجة موقتاً

---

(١) من مقالة سيف الملكة الفوكية بقلم فتى سوري بك وعرب هاكر الاسدي الجبلي

واذا تصفحنا التاريخ نرى النبي صلى الله عليه وسلم عين وزيره ورفيقه في الغار ابا بكر الصديق رضي الله عنه جندياً في الجيش الذي عقد لواءه لاسامة بن زيد وكان هذا ابن أمة ولكن خبرته في امور الحرب وشجاعته اهلته للقيادة جيش فيه مثل ابي بكر الصديق ونرى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد وجعله تحت قيادة ابي عبيدة الجراح وكان جندياً في جيش خالد بن الوليد فما عهده عمر في ابي عبيدة من التأني والاحتياط في امور الحرب

واحدثت الحكومات في القرون الوسطى باوربا على عهد الاقطاعات توجه الرتب والالقاب على المأمورين الملكيين قياساً على رتب الرهبان فرتبة فارس (شفالية) كانت شخصية وهذه درجات معينة وليس عند الاوربيين اليوم رتب شخصية توجه بالانتماء بها .

كانت الدولة العثمانية في اول امرها توجه لقب « باشا » بمعنى الاخ الاكبر على من يخدم الدولة والذين خدماً فائقة ولقب « جاويش » و « اغا » على من يخدم خدماً صغيرة ولما اصلحت الامور العسكرية والمكتبة والعلمية في زمن السلطان اورخان ومن يليه من السلاطين احدثت بعض رتب خاصة بالمناصب لا يتجاوز عددها الاربعة وهي (خوجكانلق) و (قبوجي باشيلق) و (ميرميرانلق) و (وزارة) ولا يتجاوز اصحاب هذه الرتب السبعين او الثمانين في الغالب فرتبة الوزارة كانت توجه على الصدر الاعظم وعلى (توقيعي ديوان همايون) وعلى (دفتر دار الشق الاول) يعني ناظر المالية وتوجه نادراً على عدد الولايات الكبرى المهمة وتعلو اقدار رجال الدولة (خواجكان) و (قبوجي باش) وتوجه رتبة (الوه اجي بكلربكي) التي كانت اصبحت رتبة عسكرية على المتخرجين من المعاهد رتبة (ميرميران)

كان لقب (سعادتلو) خاصاً بالسلطان الى عهد سليمان القانوني ويخاطب الصدر رجال الدولة بلقب (عزتلو) ومع هذا كله كانت الرتبة توجه وقتئذ في مقابل خدمة مهمة . وفي سنة ١٢٤٨ ادخل بعض التغيير في الرتب والالقاب فتوجه رتبة (اول) مع لقب (سعادتلو اغا (كتخداكي) ناظر الداخلية او مستشار الصدارة اليوم وعلى (رئيس الكتاب) وهو ناظر الخارجية وعلى ناظر (البر غانة) وتوجه الرتبة الثانية مع لقب (عزتلو اغا) امين الكرسالة) (امين دار المدافع) وعلى (الباش جاويش) يعني ناظر العدلية والضبطية والبوليس . والرتبة الثالثة مع لقب (رفعتلو) على مكتوبي الصدارة والمكتوبي والآمدجي . والرتبة الرابعة مع لقب (فخيملو) على امناء المكوس وبقية

رؤساء المأمورين . والرتبة الخامسة مع لقب (حينلو) الى مديري الاقلام وصيارفها

وقسمت بعد ذلك الرتبة الثانية والثالثة الى قسمين وجه اولى منها الى رجال الباب العالي والثاني الى ارباب الصيافة من مأموري الولايات وقد أهملت منذ ربع قرن فروع الرتبة الثالثة كما أهملت في زماننا رتبة (خواجكان) و (قيوجي باشي) والخامسة)

وفي سنة ١٢٥٥ سمي القسم الاول من الثانية ممتازاً وقسمت الرتبة الاولى الى قسمين وسمي القسم الاول (اولى اولى) بالاضافة مع زيادة (حضرتلري) على الالقاب والشارات بين الصدارات وسمي القسم الثاني (اولى ثانيسي) وبالنظر لتكاثر سواد اصحاب الرتب الاولى وتجاوز عددهم الاربعين شخصاً احدثت في سنة ١٢٩١ رتبة (بالا) مع لقب (عطوفتلو) ليكون خاصة برجال المجلس والممتازين على شرط ان لا يزيد عدد اصحابها على السبعة اه

اسبانيا والعمران العربي

نشر المسيو كاباتون من علماء المشرقيات بحثاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي الباريزية جاء فيه ما تعريبه : كتب لاسبانيا من دون سائر بلاد اوربا ان تكون مهبط انعمة التمدن الاسلامي وكهف اللغة العربية على حين ليست هذه الشبه الجزيرة متصلة من حيث موقعها الجغرافي بالشرق الاسلامي بشيرة كما هي حال الممالك البلقانية واليونان مثلاً . واقرب البلاد بها مساساً واقربها منها حتى بلاد افريقية التي كانت منذ قرون ثانوية في النشوء الاسلامي نشعلت اسبانيا مكانة عظمى في تاريخ الاسلام اكثر مما جاور آسيا الصغرى من البلاد الطيبة واليونان التي لم تشهد من الاسلام الا العهد الخوئل في التوحش الكثير الفتن القليل المنافع ونعني به عهد الاتراك على حين دانت اسبانيا اجمل عهود الاسلام واخصبها ونعني به عهد العرب فتأصلت مدنيتهم في اسبانيا وازهرت فيها اي ازهار

فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير اسبانيا من سنة ٧١١ م الى ٧١٤ وكانت مستعدة لهذا الفتح لان الفوضى كانت راتعة فيها لملامها فاستولى العرب على عرش تلك البلاد